ما دارتْ العينُ فى الفضاءِ إلا تَرائيهِ فى المُثولْ
أشهدُه دونَ كلِّ رائى ما كلُّ مَنْ قد رأى يميلْ (١)

وللفقيد فى وفاة الملكة فكتوريا قصيدة لامية طويلة جمعت بين السياسة والوصف والتاريخ لحرب البوير . وله قصيدة بليغة فى أحد تحاريق النيل تُعدُّ من أجود شعره .

ومن شعره النثرى اللطيف الذائع تحيةُ القرن العشرين ، وأوصافُه الشائقةُ المنوَّعةُ فى شتى الأغراض الفنية ، وأعدُّ منه رسائله الاخوانية ، فجميعها فوَّاحةُ بعبقِ الشعرِ ، كما أنَّ له غيرَ قليلٍ من الأغانى المهذَّبة القديمة .

ولعلَّ فى مقدّمةِ الجديرين بانصاف ذكرى الفقيد الشاعرين الشهيرين أحمد محرم وابراهيم الدباغ ، فكلاهما عليمٌ بأدبه النفيس وجديرٌ بهذا الانصاف فى بلدٍ « كلُّ شىءٍ فيه يُنْسَى بعد حين » ؟

محمد عبد الغفور

الخلود

أموتُ وأحيا كلَّ يومٍ مُجدَّدَا فأينَ ضلالاتى ؟ وأينَ لىَ الهدَى ؟
لقد جئتُ مِنْ فجر الزمانِ كأننى خيوطٌ به تَبدا وتمضى على المدَى
ومَثَّل جسْمى فى النشوء نشوءه فتكوين جسمى رمزُ ما مَرَّ سرمدا
ملايينُ مِنْ حَىِّ الخلايا كيانُها كيانى، وأخرى إنْ تمتْ لم تمتْ سُدى

(١) يميل : يعشق

تَطوَّرَ جسمى بل ونفسى ، فها أنا ... أمثّل ماضى الخَلْق والیومَ والغدَا
أجلْ ، ذلك الآنى البعيدُ أحسُّهُ ... بنَفْسى وأحوى منه أصْلا ممهِّدَا
كما كان جسمى ذرّةً بعد ذرةٍ ... ملايينَ مِنْ عُمر الحياةِ مُخلَّدَا
فما الخلدُ الا النوعُ يَمْضى مخلَّدَا ... وما الموتُ الا الفردُ يحيا مبدَّدَا
وما الرّوحُ الا كلّ معنًى نَشيمُه ... من الحىِّ فى شَتى الرسومِ ومفرَدَا

***

ومَثَّلْتِ لى أنتِ المعانى جميعَها ... فشاهدتُ فيك (اللهَ) روحاً ومعبدا
لئنْ عشتِ فى دنيا الأنامِ أسيرةً ... فمن قبْلُ قدعاش (المسيحُ) مصفدَا
أبَنْتِ لنا سِرَّ الخُلودِ فغرَّدَتْ ... حياتى وأضْحى كلُّ حُسْنٍ مغرِّدَا
ولستُ أبالى بعد يومىَ إن أمُتْ ... متى كنتُ للآنى المؤمَّلِ مُسعِدَا
شرحتُ له دِينَ الجمالِ فحسبُه ... وحسبى إذنْ أنى أموتُ له الفِدَى

الإضمار

تأمَّلْتُ فى دنياى حتى وجدتُها ... نقيضةَ ما تُبدى لعينى المَظاهرُ
وما كان هذا النَّقْضُ نَقْضاً بذاته ... ولكنّه فيما يُناقضُ ساحرُ
كما ألَّفَ الأطيافَ ضوءٌ موحِّدٌ ... فغابت ومِن أمواجها الضوءُ عامرُ
ففى كلِّ شىء آخَرٌ عاش مُضمَراً ... فتبدو وإنْ تُحْجَبْ لحسِّى الضمائرُ
وما عالَمُ الذرّاتِ ماالعلمُ كاشفٌ ... اذا خَدعتْ كالعالمينَ العناصرُ
تَقلَّبُ ألواناً رياءً مُجدَّداً ... وتَخذُلنا منها النُّهى والمشاعرُ
وما بَذَّها فى مُرعةِ الوثب طائرٌ ... ولا فاقَها فى وثبةِ الوهمِ شاعرُ
فأحسستُ أنّ الكونَ أضعافُ ماأرى ... وكلُّ وجودٍ ضِدُّه فيهِ حائرُ
وآمنتُ بالمعنى الخفىِّ فانه ... مِنَ النور: يخفى وهو كالنورِ غامرُ(١)
تَوَحَّدَتْ الأضدادُ فى كلِّ كائنٍ ... ففى المؤمنِ المشهودِ يكمنُ كافرُ
وقد ضَلَّ كلُّ الناس ساعةَ هدْيهمْ ... لذلك دَهرُ الناسِ بالناسِ ساخرُ!

أحمد زكى أبو شادى

(١) اشارة الى أمواج النور غير المنظورة